

## الشباب بين تحديات العصر وضرورات العمر



إن الشاب واستمراً لدور العائلة والمدرسة يتلقى مفاهيم تربوية معينة تحاول توجيه شخصيته إلى منحي معين، يتمثل في أغلب الأحيان بالاستقامة، والعقلانية، والتمسك بالموروث، وشرفية الانتماء العرقي والديني والجغرافي، ومفاهيم أخرى. وتشكل عبر هذا البناء منظومة قيمية تمثل المسيطرة المعيارية التي ترتسن على أساسها أحكام الشاب. ويتقابل مع هذه المدخلات روافد أخرى تتمثل بمختلف وسائل التوصيل والتلقين، كالتلفزيون والانترنت وجماعات اللعب واللهو وغيرها. وهذه المدخلات تغذى الشاب بمفاهيم مختلفة منها النزوع إلى التلبس بالعصرنة المطهرية، والافتتاح على الآخرين، وموافقة الموديل، والانغماس في السهر واللهو وغيرها من المظاهر.. وهذا التناقض (بين مدخلات تربيته) يؤدي إلى اضطراب في المنظومة القيمية للشاب بحيث يصبح من العسير عليه إعطاء أحكام مناسبة حول ما هو مقبول أو غير مقبول، وما هو جائز وغير جائز، وما هو مناسب وغير مناسب.

إن "هذين الصوتين يصرخان، كلّ منهما في أذن من أذني الشاب، وكلّ منهما يقول له: (إننا لك من الناصحين)، و(اتبعنا نهدك إلى طريق السعادة والرفاه). وأكيداً يلتحق بهذا الصراع الخارجي صراع داخلي يتمثل بين العقل والشهوات، بين الضمير والغرائز، فيقع الشاب فريسة هذا الصراع المقيت، وقلما يستطيع أن يفرز الأشياء بشكل دقيق، ويحصل على صورة حسنة متکاملة منتقاة من مختلف الروافد التي تصب في شخصيته.

أن صراع القديم والحديث، وأفكار الماضي والحاضر، والموديل القديم والموضة العصرية، هو تحدي حقيقي وفعال، ولا أعتقد أن هناك شاباً واحداً مستثنى من دائرة هذا الصراع والتحدي. ويدخل ضمن هذا التحدي التقابل بين منهجية الدين التربوية والمنظومات المناهضة له بكل أشكالها. أكتفي بهذه التحديات الرئيسية والتي تتضمن في طياتها الكثير من التحديات الفرعية، لأننتقل إلى الفقرة الأخرى من دراستنا الموجزة التي تتعلق بالاحتياجات الضرورية للشباب، وسنسلسلها في النقاط التالية:

## - الحاجات الضرورية للشباب:

1- الاستقرار النفسي: تتفتح آفاق الإنسان في هذه المرحلة المهمة والحرجة من حياته، ويتفاعل فيها مع جميع المؤشرات التي تحيطه بقوه وإثارة، الأمر الذي يعكس ردود أفعال متعددة ومتباينة في أغلب الأحيان. ومن جهة أخرى تمثل هذه المرحلة البいئة الخصبة للأسئلة التي تتوجه إلى الأعماق والتي تناقض الكينونة، والمستقبل، والمصير، والقيم، وغيرها من الموضوعات الشائكة. كل ذلك من شأنه أن يخلق حالة من القلق والتوتر والاهتزاز المستمر، لذا يبرز (الاستقرار النفسي) كأهم حاجة للذات في جانبيها المادي والمعنوي. فالشاب بحاجة إلى منظومة تربوية توازن بين ضروراته وقدراته وخصوميات الواقع والمرحلة، وتغذي كل جانب منه (الروح والقلب والبدن والعقل) بما يحتاجه. ويبرز الإيمان (بمثل أعلى مطلق)، كأهم الروايد التي تخلق حالة الاستقرار والسكينة، وتوجه حياة المرء إلى حركة تصاعدية فاعلة ومنتجة، يقول (وليم جيمس) الأستاذ في جامعة هارفارد: "إن الإيمان من القوى التي تساعد الإنسان على الحياة، والتي بعد فقدانها بمثابة الموت والفناء". ولذلك ألتفت الغرب إلى هذه الحقيقة ولكن متأخراً. وفي أمريكا يجري الاهتمام اليوم كثيراً بدرس الدين، وتعويد الطلاب بمختلف مراحلهم وخصوصاً (الليافعين)، على الوقوف للصلوة، والتأمل في الكون، ومناجاة رب.

إن الضغط النفسي الذي تشكله مدخلات متعددة، كالحاجة الجنسية، وقلق المصير، والعزوز، والتضارب التربوي، وغيرها من المدخلات، يمثل أعظم المعاوٍ التي تهدى كيان الشباب. وفي الصور التي يطول فيها هذا الضغط دون أن يجد ما يبده، قد ينتهي بالانتحار، وهذا ما تسجله الإحصاءات في البلدان المرتفعة الأعداد في قضايا الانتحار.

إن الاستقرار هو السكون والطمأنينة والرضي والتعاطي الإيجابي مع التحديات والضغوطات، وهو أهم من الغذاء البايولوجي. فما أكثر الحالات التي يعزف فيها الإنسان عن الطعام عندما يتعرض لقلق والاهتزاز النفسي. ولا يتحقق هذا الاستقرار من خلال مجموعة نصائح ووصيات، وإنما يحتاج إلى (منظومة تربوية)، تشكل ذات الشباب في (أعماقه وظاهره)، وتوافق فطرته وهواجسه الذاتية. ويمثل (بناء اعتقاداته)، بشكل سليم خالي من (التطرف والغلو والانحراف)، أهم الركائز في هذه العملية التربوية الخالقة للاستقرار والطمأنينة.

2- الإشباع الجنسي والعاطفي المتوازن: قد يحاول البعض التقليل من أهمية هذه الحاجة أو التعالي عليها وتصوّرها، لأنّها غير ضرورية ولا تحتل مرتبة متقدمة في حياة الإنسان عموماً. واعتقد إن هذا الرأي إما صادر عن غير دراية ووعي لجوهر الإنسان وما ينطوي عليه كنهه من أسرار وضرورات، أو محاولة وعظية تجا في الواقع وتفتّل الحقائق.

الشاب، هو عمر الاندفاع للغرائز والاستثارة السريعة، ومع التحديات الصارخة التي يطوقه بها الواقع من خلال قنواته المتعددة، كل ذلك يجعل من الإرضاـء المتوازن المشروع هو الحاجة الملحة. وقد التفتت الأديان عموماً والإسلام خصوصاً إلى هذه الحقيقة، لأنّها عالمـة بحقيقة الإنسان وكـنهـه، إلى هذه الحاجة وأمرـتـ بـإـرـضاـئـهاـ بأـسـرعـ وقتـ مـمـكـنـ وبـسـبـلـ متـعـدـدـ تـكـفـلـ تـحـقـقـ حـالـةـ الرـضـيـ التـيـ يـتـبعـهاـ حالةـ الاستـقـارـ والـتواـزنـ،ـ الضـورـيـانـ لـفـاعـلـيـةـ إـلـاـنـسـانـ إـلـيـجاـبـيـةـ وـيـدـخـلـ فـيـ هـذـهـ الفـقـرـةـ مـسـأـلـةـ حـصـولـ فـرـصـةـ منـاسـبـةـ لـلـاقـتـرـانـ المـشـرـوعـ (لـلـفـتـىـ وـالـفـتـاةـ)،ـ بـحـيثـ تـجـدـ عـوـاطـفـهـمـاـ مـتـنـفـساـ مـنـاسـبـاـ لـبـنـائـهـاـ وـفـضـاءـاتـ مـقـبـولـةـ تـتـحـركـ مـنـ خـالـلـهـاـ،ـ وـأـنـبـهـ فـيـ خـاتـمـةـ هـذـهـ الفـقـرـةـ إـلـىـ إـنـ هـذـهـ الحاجـةـ إـذـاـ لمـ تـجـدـ المسـارـ الـصـحـيـحةـ لـتـلـبـيـتهاـ،ـ فـإـنـّـهـاـ تـأـخـذـ أحـدـ طـرـيقـيـنـ سـيـئـيـنـ:ـ إـمـاـ أـنـ تـنـعـكـسـ إـلـىـ حـرـمـانـ يـشـلـ ذاتـ الشـابـ وـيـعـصـفـ بـمـحـتوـاهـ،ـ أـوـ تـأـخـذـ مـسـارـ غـيرـ مـشـروعـ لـإـرـضاـئـهـاـ وـهـوـ الـذـيـ يـحـلـ الشـابـ وـالـمـجـتمـعـ تـرـكـةـ بـآـثـارـ الـفـسـادـ وـالـإـفـسـادـ.

3- فرصة مناسبة للتعليم: تمثل هذه المرحلة من حياة الإنسان، الأهم في تشكيل مستقبله والتوجه الذي ستتجه إليه مسيرته الحياتية بعمومها. ولا شك في إن التعليم (كما ونوعاً) أهم العوامل المؤثرة في رسم ملامح الشخصية ونوع المهنة أو العمل الذي تتجه إليه.►

